

الرأى والعقيدة

للأستاذ أحمد أمين

فرق كبير بين أن ترى الرأى وأن تعتقده — اذا رأيت الرأى فقد أدخلته فى دائرة معلوماتك، واذا اعتقدته جرى فى دمك، وسرى فى مخ عظامك، وتغلغل الى أعماق قلبك

ذو الرأى فيلسوف، يقول انى أرى الرأى صوابا وقد يكون فى الواقع باطلا، وهذا ما قامت الأدلة عليه اليوم، وقد تقوم الأدلة على عكسه غدا، وقد أكون مخطئا فيه، وقد أكون مصيبا، أما ذو العقيدة فجازم بات لا شك عنده ولا ظن، عقيدته هى الحق لا محالة، هى الحق اليوم وهى الحق غدا، خرجت عن أن تكون مجالا للدليل، وسمت عن معترك الشكوك والظنون ذو الرأى فاتر أو بارد، ان تحقق ما رأى ابتسم ابتسامة هادئة رزينة، وان لم يتحقق ما رأى فلا بأس، فقد احترز من قبل بأن رأيه صواب يحتمل الخطأ، ورأى غيره خطأ يحتمل الصواب، وذو العقيدة حار متحمس لا يهدأ الا اذا حقق عقيدته. هو حرج الصدر، لهيف القلب، تتناجى فى صدره الهموم، أرق جفنه وأطال ليله تفكيره فى عقيدة، كيف يعمل لها، ويدعو اليها، وهو طالق الحيا مشرق الجبين، اذا أدرك غايته، أو قارب بغيته

ذو الرأى سهل أن يتحول ويتحور، هو عبد الدليل، أو عبد المصلحة تظهر فى شكل دليل، أما ذو العقيدة فخير مظهر له ما قاله رسول الله: «لو وضعوا الشمس فى يميني والقمر فى شمالي على أن أدع هذا الذى جئت به ما تركته»، وكما يتجلى فى دعاء عمر: «اللهم ايماننا كايمان العجائز»

لقد روى عن «سقراط» أنه قال «إن الفضيلة هى المعرفة» وناقشوه فى رأيه، وأبانوا خطأه، واستدلوا بأن العلم قد يكون فى ناحية، والعمل فى ناحية، وكثيرا ما رأينا أعرف الناس بمضار الخمر شاربها، ومضار القمار لاعبه، ولكن لو قال سقراط إن الفضيلة هى العقيدة، لم أعرف وجهها للرد عليه، فالعقيدة تستتبع العمل على وفقها لا محالة — قد ترى أن الكرم فضيلة ثم تبخل، والشجاعة خيرا ثم تجبن، ولكن محال أن تؤمن بالشجاعة والكرم ثم تبجن أو تبخل

العقيدة حق مشاع بين الناس على السواء، تجدها فى السذج، وفى الاوساط، وفى الفلاسفة — أما الرأى فليس الا للخاصة الذين يعرفون الدليل وأنواعه، والقياس واشكاله، والناس يسرون فى الحياة بعقيدتهم، أكثر مما يسرون بأرائهم، والمؤمن بعقيدته يرى ما لا يرى الباحث برأيه، قد منح المؤمن من الحواس الباطنة، الذوق ما قصر عن ادراكه القياس والدليل الناس انما يخضعون لذى العقيدة، وليس ذوو الرأى الا ثرثارين لا يعملون، عنوا بظواهر الحجج أكثر مما عنوا بالواقع، لا يزالون يتجادلون فى آرائهم حتى يأتى ذو العقيدة فيكتسحهم قد يجود الرأى وقد ينفع، وقد ينير الظلام وقد يظهر الصواب، ولكن لا قيمة لذلك كله ما لم تدعمه العقيدة، وقل أن تؤتى أمة من نقص فى الرأى، ولكن أكثر ما تؤتى من ضعف فى العقيدة، بل قد تؤتى من قبل كثرة الآراء أكثر مما تؤتى من قلتها

الرأى جثة هامدة، لا حياة لها ما لم تنفخ فيها العقيدة من روحها، والرأى كهف مظلم لا ينير حتى تلقى عليه العقيدة من أشعتها، والرأى مستنقع راكد يبيض فوقه البعوض، والعقيدة بحر زاخر لا يسمح للهوام الوضيعة أن تتولد على ظهره، والرأى سديم يتسكون؛ والعقيدة نجم يتألق، ذو الرأى يخضع للظالم وللقوى، لأنه يرى أن للظالم والقوى رأيا كرايه، ولكن ذا العقيدة يأبى الضيم ويمقت الظلم، لأنه يؤمن أن ما يعتقده من عدل وإباء هو الحق ولا حق غيره من العقيدة ينبثق نور باطنى يضئ جوانب النفس، ويبعث فيها القوة والحياة، يستعذب صاحبها العذاب، ويستصغر العظائم، ويستخف بالأهوال، وما المصلحون الصادقون فى كل أمة الا أصحاب العقائد فيها

الرأى يخلق المصاعب، ويضع العقبات، ويصغى لأمانى الجسد، ويشير للشبهات ويبعث على التردد، والعقيدة تفتحهم الاخطار، وتزول الجبال، وتلفت وجه الدهر، وتغير سير التاريخ، وتنسف الشك والتردد، وتبعث الحزم واليقين، ولا تسمح الا لمراد الروح

ليس ينقص الشرق لنهوضه رأى، ولكن تنقصه العقيدة، فلو منح الشرق عطاء يعتقدون ما يقولون لتغير وجهه وحال حاله، واصبح شيئا آخر — وبعد، فهل حُرِّم الأيمان مهبط الايمان؟